

د. ديفيد تيرنر، محاضرة متى أ - متى 5: 1-16: عظة الجبل 1: المقدمة والتطويات 3 -

مرحباً، معكم ديفيد تيرنر. أهلاً بكم في المحاضرة الثالثة أ، محاضرتنا التمهيدية عن عظة الجبل والتطويات يرجى العلم أن لديكم بعض المواد الإضافية لهذه المحاضرة في الصفحات من ١٢ إلى ١٤ من المواد الإضافية للفصل.

مقدمة عن عظة الجبل. علينا أن نتناول عظة الجبل من زاويتين أو ثلاث، بدءاً من تاريخيتها. لا تظهر عظة الجبل كعظة منفصلة في إنجيل مرقس، كما أنها تظهر جزئياً فقط في إنجيل لوقا

هذا في لوقا ٦: ١٧ إلى ٧: ١. توجد نظريات عديدة لتفسير هذا الاختلاف بين الأناجيل الإزائية. يعتقد البعض أن متى قد ألف هذه العظة من التقاليد والمصادر الوثائقية وبراعته الشخصية، لذا لا ينبغي نسبها إلى يسوع التاريخي. من هذا المنظور، فإن العظة مأخوذة بالكامل من متى، وليست من يسوع إطلاقاً

، هذا الرأي مرفوض لدى المسيحيين الإنجيليين، إذ يميل إلى اعتبار الأناجيل مجرد افتراءات غير تاريخية، مُختلفة لأسباب لاهوتية بحتة. وهناك رأي آخر مفاده أن متى قد بنى هيكل العظة بجمع تعاليم يسوع التاريخية المختلفة، والتي أُلقيت في الأصل في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة. وهناك العديد من الإنجيليين الذين يؤمنون بهذا الرأي

لكن هذا لن يُتبع هنا، لأن رواية متى تُحيط بوضوح العظة بمؤشرات على زمان ومكان محددين لوقوعها يجب تجاهل هذه العلامات التاريخية، ٥: ١ و ٢، و ٧: ٢٨ إلى ٨: ١، أو اعتبارها خياليةً للأخذ بهذا الرأي الثاني. في رأي ثالث، يُسجل متى بدقة جوهر العظة، أو صوت يسوع نفسه، من عظة تاريخية ألقاها بالفعل.

بمعنى آخر، ليس لدينا نسخة من العظة. ليس لدينا تسجيل صوتي. لم تُسجل بالفيديو

يُقَدَّم لنا متى مُلَخَّصاً دقيقاً له، دون أن يُضيف إليه أفكاره الخاصة، بل يُقدِّم لنا الأجزاء المهمة منه. يُلَخِّصه. ويُقدِّم لنا جوهره

لاتينية، وتعني أن صوت يسوع نفسه موجود في هذه العظة. ومع ذلك، فقد "abscissa novox" كلمة، جمعها متى، ويُنسب شكلها الأدبي الحالي إليه. وهناك رأي أخير، وهو الأكثر تحفظاً، وهو أن متى يُعطينا، بالطبع، وصفاً دقيقاً وكاملاً، كلمة بكلمة، أي كلمات يسوع نفسها، حرفياً، إن صح التعبير

يبدو الأمر كما لو كان نسخة مختصرة أو تسجيلاً صوتياً للخطبة التي ألقاها يسوع بالضبط. كلا الرأيين الأخيرين يتبناه الإنجيليون المحافظون، لكن الرأي الثالث يُفَضَّل بشدة لأسباب تتعلق بنوع الأناجيل والتنقل التاريخي لتعاليم يسوع. لا يشترط لرواية حقيقية لحدث تاريخي أن تتضمن نسخاً حرفية، ومن الصعب تصور كيف جُمعت هذه النسخة أصلاً، ناهيك عن نقلها إلى الكاتب المحتمل متى، الذي لم يكن بعد من تلاميذ يسوع، وفقاً ل 9: 9. بل لدينا في هذه الخطبة ملخص موثوق لما قاله يسوع، وهو سرد يحمل بصمات المحرر

من الواضح أن ورود بعض أقوال عظة متى في سياقات أخرى في إنجيلي مرقس ولوقا يعود إلى تكرار يسوع لمواضيع رئيسية في خدمته المتنقلة. والآن، لننتقل إلى البنية الأدبية للوعظة. لاحظ الصفحة ١٣ بالتزامن مع ما سأقوله هنا، والموضح في الصفحة ١٢ من موادك

بعد قصته الفريدة عن طفولة يسوع في إنجيل متى، الإصحاحين الأول والثاني، يُطوّر متى إنجيله في خمسة أجزاء من الخطاب والمواد السردية. الجزء الأول من الإصحاحات من ٣ إلى ٧، والثاني من ٨ إلى ١٠، والثالث من ١١ إلى ١٣، والرابع من ١٤ إلى ١٨، والأخير من ١٩ إلى ٢٥. ويختتم إنجيله بسرّد موت يسوع وقيامته ورسالته في الإصحاحات ٢٦-٢٨.

إذن، تُشدد الأقسام الخمسة من إنجيل متى بالتناوب على أعمال يسوع وكلماته، وتُقسّم حسب العبارة المفتاحية التي وردت بعد انتهاء يسوع من كلامه، والتي ترد في نهاية كلّ من الخطابات. وقد ناقشنا هذا الأمر بتفصيل أكبر في المقدمة. لذا، ينبغي النظر إلى الخطاب الذي نُطلق عليه اسم "عظة الجبل" في إنجيل متى من الإصحاحات ٥ إلى الإصحاحات ٧ على أنه يُمثل التعاليم الأخلاقية ليسوع، مُطوّرًا البيان الموجز في الآية ٢٣ من إنجيل متى، والذي يُمثل مُركّبًا من القول والفعل

وهكذا، فإن الآية ٤:٢٣ والملخص المماثل لها في الآية ٩:٣٥ يُشكلان إطارًا، أو دعائم، لخدمة يسوع في التعليم وصنع المعجزات. يُمثل تعليمه في الآيات ٥ إلى ٧، ومعجزاته في الآيتين ٨ و ٩. تُظهر كلّ من الأقوال والأعمال سلطان ملكوت السماوات. الآيتان ٢٨-٧:٢٩ للأقوال، والآيات ٩:٦-٢٨ للأعمال

من الصعب تحديد تفاصيل عظة الجبل، ولكن يُمكن تنظيمها على النحو التالي، وهو موضح لكم في الصفحة ١٣. في البداية، ثمة إطار سردي يُصوّر يسوع على الجبل، جالسًا يُعلّم تلاميذه. يُكمل هذا الإطار السردى في بداية العظة الإطار السردى في نهايتها، والذي يُظهر دهشة الجموع من تعاليم يسوع المُسلّم بها

، يمكن للتطويبات أن تكون بمثابة مقدمة لسمات شخصية التلاميذ، أولئك الذين تابوا عند إعلان الملكوت والذين يسعون للعيش وفقًا لمعاييره. يبدأ نص العظة في الآية ٥: ١٧ وينتهي في الآية ٧: ١٢، حيث توجد إضافة أخرى، أي "الكتابات"، تتشكل من خلال الإشارة إلى الشريعة والأنبياء. يعلن يسوع علاقته بالشريعة في الآيات ٥: ١٧-٢٠. ثم في الآيات ٥: ٢١-٤٨، يشرحها بوضوح أكبر من خلال ستة تناقضات محددة

ثم ينتقل إلى الممارسات الدينية النفاقية مقابل الممارسات الدينية الحقيقية في الآيات ٦: ١-١٨، والمادية والقلق في الآيات ٦: ١٩-٣٤، والتميز الروحي في الآيات ٧: ١-٦، والصلاة في الآيات ٧-١١. ويُكمل البيان الختامي في الآية ١٢: ٧ موضوع طاعة الشريعة والأنبياء، الذي بدأ في الآية ٥: ١٧. وتُختتم العظة في الآيات ٧: ١٣-٢٧، حيث تجد ثلاثة تناقضات واضحة للغاية، مما يُشير إلى ضرورة استجابتنا الصحيحة لتعاليم يسوع علينا أن نسلك الطريق الضيق. علينا أن نتجنب الثمار الرديئة، والأنبياء الكذبة، والأشجار الرديئة، أي أننا بحاجة إلى بناء حياتنا على أساس متين من كلام يسوع المسيح

أهم المناهج التفسيرية لخطبة الجبل. هناك بلا شك وفرة من المناهج التفسيرية لهذه الخطبة، كما هو موثق في كتاب وارن كيسنجر الصادر عام ١٩٧٥. لا يسعنا هنا إلا ذكر بعض هذه المناهج

يرى المفسرون التدبريون تقليديًا أن العظة شريعة يهودية للملكوت في المستقبل، وليست تعليمًا كريمًا، وهو أمر ذو صلة مباشرة بالكنيسة. قد يتعلق هذا التعليم بالملكوت بفترة خدمة يسوع الأرضية، أو بالضيق المستقبلية، أو الألفية. يفترض هذا الرأي خطأ أن إنجيل متى كُتب لليهود

وبالمثل، ينظر المترجمون اللوثريون إلى العظة على أنها شريعة وليست إنجيلًا، لكنهم يعتقدون أن معاييرها القانونية العالية ستُظهر للناس خطاياهم وتجذبهم إلى الصليب طلبًا للمغفرة. اعتبر شفايتزر، أي ألبرت شفايتزر، الطبيب الشهير، العظة بمثابة أخلاقيات للفترة الانتقالية القصيرة المفترضة التي تنبأ بها متى بين مجيء يسوع. ويرى مترجمون آخرون من مختلف الطوائف والتوجهات في علم الآخرة أن العظة أخلاقيات اليوم، لكنهم يختلفون حول ما إذا كانت العظة مجرد أخلاقيات شخصية أم أجندة تُنفذ عبر عمليات سياسية.

من وجهة النظر هذه، تُعدّ هذه العظة بمثابة أخلاقيات شخصية لأتباع يسوع اليوم. مع ذلك، فهي ليست مسألة خصوصية. على أتباع يسوع أن يكونوا ملخًا ونورًا في هذا العالم.

عظة الجبل هي تعليم يسوع المرجعي حول كيفية عيش المؤمنين اليوم. أولئك الذين تابوا عندما سمعوا الإنجيل الذي بشر به يوحنا ويسوع (٣: ٢، ٤: ١٧)، يحتاجون إلى معرفة كيفية العيش في ظل حكم الله الخلاصي، ملكوت السماوات. وبصفتهم مؤمنين يهودًا، كانوا بحاجة خاصة إلى معرفة كيفية ارتباط تعاليم يسوع بالعهد القديم، وأن برهم يجب أن يفوق بر الكتبة والفريسيين.

كان عليهم ممارسة دينهم لنيل ثواب الله، لا لنيل رضا الناس. وكان عليهم وضع احتياجاتهم المادية وممتلكاتهم في منظور ملكوتي سليم. وكان للتمييز الروحي والصلاة أيضًا أولوية.

إذا كان أحد يصني بإهمال، دون رغبة في الطاعة، فقد حُدّر من دخول الباب الضيق، وتجنب الأشجار غير المثمرة، والبناء على الصخر. في كل هذا، أدركوا أن الطاعة الكاملة لهذه المعايير ستتحقق عند مجيء الملكوت (الإصحاح السادس، الآية ١٠). (سيكون هذا بمثابة مقدمة لعظة الجبل في الإصحاحات ٥ إلى ٧. والآن ننتقل إلى القسم الرئيسي الأول من عظة الجبل، وهو التطويبات.

أولاً، البنية الأدبية للتطويبات. إجمالاً، هناك تسع تطويبات في الآيات من ٣ إلى ١٢، لكن التطوية التاسعة المذكورة في الآيتين ١١ و ١٢ هي في الواقع امتداد للتطوية الثامنة في الآية ١٠. هناك بعض المفسرين، أبرزهم ديفيز وأليسون في مجلدهما الصادر عام ١٩٨٨ عن إنجيل متى، الذين اختاروا بنية تتألف من ثلاث مجموعات من ثلاث تطويبات. لكن التطويبات الثماني الأولى من التسعة تُظهر بنية متوازنة مترابطة بشكل وثيق، مما يُرجّح فهمها كمجموعتين من أربع تطويبات.

هذا ما حاولت تصويره في النشرة في الصفحة ١٤. تُركّز التطويبات الأربع الأولى، المجموعة الأولى، على علاقة التلاميذ العمودية بالله. وتُركّز المجموعة الثانية على علاقة التلاميذ الأفقية بالناس.

تحدث كلتا هاتين العلاقتين في جوٍّ من الظلم، ويتضح في كليهما أن التلاميذ يتعرضون للاضطهاد. لاحظ إذن في الصفحة ١٤ كيف تحدث التطويبات الأولى والأخيرة، ٣: ٥ و ١٠: ٥، عن وجود الملكوت. لاحظ الخاتمة في كليهما: ملكوت السماوات لهم.

لكن جميع التطويبات الأخرى من الآيات ٤ إلى ٩ تستخدم فعل المستقبل في النصف الثاني من التطوية. لاحظ كيف أن الآيتين ٤ و ٩ متوازيتان، والآيتين ٥ و ٨ متوازيتان، والآيتين ٦ و ٧ متوازيتان، كما عرضناها. وإذا لاحظتم الصيغ النحوية، وخاصةً لمن يجيدون اليونانية، فسترون ذلك بوضوح أكبر.

إذن، البنية الأدبية للتطويبات هي مجموعتان من أربع. ننتقل الآن إلى معنى التطويبات، ونطرح السؤال الرئيسي: هل تُفهم التطويبات وتُركّز بها كمتطلبات يجب استيفاؤها لدخول الملكوت، أم أنها بركات تأتيان بالإيمان بيسوع مسيحنا؟ هل هي متطلبات مشتركة أم بركات أخروية؟ هناك وجهتا نظر متناقضتان حول معنى التطويبات، تتمحوران حول ما إذا كان ينبغي فهمها كبركات نعمة للملكوت أم كمتطلبات أخلاقية لدخوله. روبرت جوليك هو من عبّر عن ذلك في كتابه عن عظة الجبل.

إذا كان الخيار الثاني، فعلينا أن نسعى إلى تنمية الصفات المذكورة هنا لننال رضا الله. أما الخيار الأول، فعلينا أن نشكر الله على نعمته، وأن نعترف بأن هذه الصفات دليل على عمله الكريم في حياتنا، وأن ننميها في حياتنا. كتلاميذ للمسيح. ولا شك أن هذا الرأي الثاني صحيح.

أولئك الذين يتوبون عند سماع رسالة الملكوت (٣: ٢، ١٧: ٤) يُقَرَّون بإفلاسهم الروحي، ويفرحون ببركات الله الخلاصية. ثم تكشف التطويات عن سمات شخصية أساسية يُقَرِّها الله في شعبه. هذه السمات الشخصية هي مواهب كريمة تدل على رضا الله، وليست متطلبات لأعمال تستحق رضاه.

مع ذلك، ينبغي على التائبين أن يتحلوا بهذه الصفات. تتضمن كل تطوية بياناً لمن يستحقها، مدعوماً بوعدٍ يوضح سبب بركاتها. لا يُقَرَّ الله بالضرورة الشهرة، أو الالتزام بالقواعد، أو الممتلكات، أو المظاهر الباهرة، أو المعرفة.

تُشرح الصفات التي يُقَرِّها الله في مجموعتين من أربع صفات، تصف على التوالي الصفات المتعلقة بالله والصفات المتعلقة بالآخرين. لاحظ كيف يُشبه هذا ما جاء في إنجيل متى ٢٢، الآيات ٣٧-٤٠. يُقَرَّ الله من يرتبطون به بالاعتراف بفقرهم الروحي والحزن على خطاياهم، ساعياً بتواضع إلى الامتلاء الروحي (٥: ٣-٦) ويُقَرَّ من يرتبطون بالآخرين برحمة ونقاء كصانعي سلام، حتى وإن تعرَّضوا للاضطهاد بسبب سلوكهم الصالح (٥: ٧-١٢). (قد يبدو هذا للوهلة الأولى وكأنه نوع من النكتة القاسية والسادية، التي لا تروق إلا للأنواع المازوخية).

كان يسوع يقول إن التعساء سعداء. لكن في الحقيقة، يُظهر يسوع خطأ العيش السطحي الأناني. الواقعية الحقيقية، لا التفاؤل الزائف، هي النعيم الحقيقي لأتباع يسوع، لأنها ستقودهم إلى الراحة الأبدية.

إن الروحانية المتطرفة للتطويات تتعارض مباشرة مع عدة وجهات نظر ثقافية حول رضا الله. من هذه الآراء أن شعبية المرء بين أقرانه دليل على رضا الله. لكن هذا يتناقض بوضوح مع القول بأن من يضطهدهم أقرانهم يتمتعون برضاه (٥: ١٠-١٢، ٧: ١٣-١٤). (ومن الآراء الخاطئة الأخرى أن المرء قد ينال رضا الله بمجرد التزامه بمجموعة من القواعد المحددة).

لكن يسوع يُصرِّح بأن البر الذي يتجاوز مجرد الالتزام بالقواعد وحده يكفي لمملكته (٥: ٢٠). (قد يقول البعض إن وفرة الممتلكات المادية دليل على فضل الله، لكن بحسب يسوع، فإن الانشغال بهذه الممتلكات يتناقض مع قيم ملكوته (٦: ١٩-٢١ و ٣٣). ترتبط القدرة على أداء المعجزات أحياناً بالموافقة الإلهية. لكن بعض صانعي المعجزات سيتعلمون في اليوم الأخير أن الله لا يعترف بهم كشعبه (٧: ٢٢-٢٣). (في العالم المتحضر ثمة قيمة للتعليم).

لقد أثر هذا على المسيحية بطرق عديدة، بما في ذلك نظرتها لرجال الدين. ولكن بحسب يسوع، يجب على المرء أن يطيع كلامه، لا أن يكتفي بمعرفة معناه (٧: ٢٦). (لذا، وختاماً للتطويات، فإن سمات حكم الملكوت هي أساساً التواضع تجاه الله والرحمة تجاه الناس. وبفضل الله، تتجلى هذه السمات مبدئياً في حياة شعب الله).

ومع ذلك، يجب على شعب الله أن يُنمّوا هذه الصفات لتكون حاضرة بالفعل. في عالم يُقدَّر الكبرياء على التواضع، والعدوانية على الرحمة، فإن تلاميذ يسوع، على حد تعبير ستوت في كتابه "الثقافة المسيحية المضادة"، هم بالضبط ذلك، ثقافة مسيحية مضادة. وبينما يُحافظون على هذه الشهادة المضادة للعالم يُمكن للتلاميذ أن يتطلعوا إلى مُعلّمهم، الذي جسّد براعة سمات التطويات.

كان يسوع وديعاً، لاحظ ١١: ٢٩. حزن يسوع، ٢٦: ٣٦-٤٦. يسوع وحده حقق كل البر، ٣: ١٥، ٤: ٢٧، ١٩. جسّد يسوع الرحمة بلا شك، إذ أظهرها للآخرين، ٩: ٢٧، ١٥: ٢٢، ١٧: ١٥، ٣٠: ٢٠-٣١. وفوق كل ذلك، كان يسوع بلا شك مثلاً للمظلوم والمضطهد. لذلك، فبينما يُنمّي التلاميذ نعم التطويات المُخالفة للثقافة السائدة، فإنهم في الواقع يُنمّون التشبه بمعلّمهم، ربهم ومخلصهم، يسوع المسيح.

ننتقل الآن من التطويبات إلى إنجيل متى ٥، الآيات ١١-١٦. لتحليل هذا القسم، يبدو هيكله بسيطاً نسبياً. الجزء الأول منه، ٥: ١١ و ١٢، هو تطوية تُوسّع نطاق آثار التطوية على الاضطهاد المذكورة في ٥: ١٠. ويمكن ملاحظة أربعة جوانب لهذا التوسع

، تُصبح التطوية أكثر شخصية بالانتقال إلى ضمير المخاطب. لم تعد "طوبى للذين"، بل "طوبى لكم". ثانياً، تُصبح التطوية أكثر تحدياً بالوصايا بالفرح في زمن الاضطهاد

ثالثاً، يُصبح التطويب أكثر إرضاءً من الناحية المنطقية بذكر سبب الاضطهاد والآخرين الذين اضطهدوا، أي بسبب صلتهم بيسوع، وتشابههم مع صلة الأنبياء. وأخيراً، يُصبح التطويب أكثر تحدياً من حيث المكافأة الموعودة. يتناول الجزء الثاني من هذا القسم، في الآيات ٥: ١٣-١٦، مسألة شهادة الملكوت في عالمٍ مضطهد

وُصفت هذه الشهادة مجازياً بالملح في الآية ١٣، وبالنور في الآيات ١٤-١٦. كما صُوّرت استعارة النور كمدينة بارزة على قمة تل (٥: ١٤)، ومصباح زيت موضوع على منبر عالٍ، لا تحت سلة (٥: ١٥). (ساعدت هذه الصور التلاميذ في مهمتهم في إنارة العالم) (٥: ١٦). (سياق هذا المقطع القصير شيقٌ للغاية. أولئك الذين يتوبون ويخضعون لحكم الله في المسيح يُقبلون عنده كأشخاص متواضعين ورحماء في تعاملهم مع الله) (٥: ٣-٥) ومع الآخرين (٥: ٧-١٠). (يوضح يسوع في متى ٥: ١١-١٦ أن هؤلاء سيكون لهم تأثيرٌ واضحٌ على هذا، ٦) العالم بطريقتين

هذا يُبدد أي فكرة مفادها أن التلمذة مجرد مسألة خاصة بين الإنسان والله. أولاً، في الآيتين ١١-١٢ من إنجيل لوقا، يُوسّع يسوع نطاق تطويبه بشأن الاضطهاد المذكور في الآية ١٠ من خلال الإشارة إلى أن الإهانات، والقذف قد يقعان بسبب صلة تلاميذه به. عندما يحدث هذا، يكون التلاميذ في صحبة طيبة مع الأنبياء. ويمكنهم توقع مكافأة عظيمة

وهكذا، غالباً ما يُستهان بتأثير التلاميذ على العالم ويُعارض. ثانياً، في الآيات ٥: ١٣-١٦، يستخدم يسوع صورتين واضحتين للحديث عن تأثير تلاميذه. هما: الملح والنور (٥: ١٣)، والملح (٥: ١٤-١٦)، والنور

كمُلاح، سيُنقون مجتمعهم ويحافظون عليه فقط إذا حافظوا على ملوحتهم. يُحافظ على ملوحتهم بغرس مبادئ التطويبات التي ناقشناها سابقاً. كنور، ستُسبّح أعمالهم الصالحة الأب إذا أظهروا ذلك النور بوضوح ليراه الجميع

في القسم التالي، ٥: ٢١-٤٨، يشرح يسوع كيف يؤثر إتمامه للشرعة والأنبياء على حياة تلاميذه الأخلاقية عليهم أن يتعلموا المزيد عن أنواع السلوك التي تُشكل أعمالاً صالحة، والتي تؤثر في العالم من حولهم كملح ونور. إذا كان لا بد أن يتجاوز برهم بر الكتب والفريسيين، كما هو مذكور في ٥: ٢١، فعليهم أن يعرفوا تحديدًا نوع البر الذي ينطوي عليه ذلك

وفي الآيات ٥: ٢١-٤٨، تجدون بعض القضايا المحددة التي ستجعلهم بحق ملحاً ونوراً في العالم. شهادة للعالم، على تلاميذ يسوع أن يكونوا مؤثرين في الملكوت حتى في خضم عالمٍ قاسٍ. الملح والنور في الآيات ٥: ١٣-١٦ يمكن فهمهما على أنهما يدلان على جانبين من الشهادة في العالم

، التلاميذ، كالمُلاح، يجب أن يختلطوا بالعالم ليُنكّهوه أو يُنقّوه أو يُحافظوا عليه. أما التلاميذ، كالمصابيح، فعليهم أن يبقوا منفصلين عن العالم ليُنيروه. لا قيمة للمُلاح إذا فقد نكهته، ولكن نكهته لا تُحفظ في ملح

يبدو لي أن هناك توترًا هنا يجب على التلاميذ مراعاته. لديّ صديق مسيحي إصلاحى، وأنا شخصياً معمداني

أخبرني ذات مرة أنه شعر أن الإصلاحيين أفضل حالاً مع استعارة الملح، وأن المعمدانيين أفضل حالاً مع النور. كان يقصد بذلك أن المسيحيين الإصلاحيين عموماً يميلون إلى التعامل مع العالم كملح وتغيير الثقافة بينما يميل المعمدانيون إلى الانفصالية، ويميلون إلى أن يكونوا بمثابة النور المنفرد على تلة ما. أعتقد أننا بحاجة إلى هاتين الصورتين في أذهاننا لتكون مؤثرين.

لا يمكننا عزل أنفسنا عن العالم، كما قد يفعل بعض الأصوليين، وبعض المعمدانيين، أحياناً، محاولين أن نكون نوراً منعزلاً. علينا أن نتفاعل مع العالم، وأن نكون كالمح الذي يخترق الطعام.

لكن يجب أن يحافظ الملح على نقائه، وإلا فقد نكهته، وبالتالي لا يصلح لأي شيء. تُشكّل مصطلحات الآيات ٥: ١٣-١٦ أساس تشديد متى على رسالة الكنيسة العالمية. لتلاميذ يسوع دورٌ يؤديه في العالم، وقد أُهيئوا بنعمته لأداء هذا الدور بفضل البركات الأخروية الموصوفة في التطويبات في الآيات ٥: ٣-١٠. الكنيسة التي سيبنيها يسوع، الآيات ١٦-١٨، هي الوسيلة التي يؤثر بها الملكوت على البشرية.

الأرض كلها، قارن ١٠: ٦، ٩: ٦، ١١: ٢٥، ١٦: ١٩، ١٨: ١٨-١٩، ٢٨: ١٨، يجب أن تُملح، والعالم كله، قارن ٣٨: ١٣، ١٤: ٢٤، ١٣: ٢٦، يجب أن يُضاء. من المهم إذاً أن نلاحظ أن يسوع يتحدث عن ملح الأرض ونور العالم. هذا ليس شيئاً يتحدث عن جماعة صغيرة مختبئة في زاوية ما.

يجب أن يُضيء نور التلاميذ على الناس. لا شك أن هذا المقطع يُوضح أن انعزالية بعض المسيحيين، وإن بدت نابعة من دوافع صادقة تتعلق بالحفاظ على نقاء الكنيسة أو أرثوذكسيتها، لا يمكن أن تستمر. يُخبرنا متى أن يسوع لم يكن زاهداً.

أي أنه كان غالباً ما يرتبط بالخطاة السيئين (٩: ١٠). (كان يستمتع بالطعام ويشرب) (١١: ١٩). (ومع ذلك، في هذه العلاقات، لم يفقد يسوع ملوحته ولم يخفِ نوره).

لا شك أن على التلاميذ ألا يستهينوا بمكائد العالم والجسد والشرطان. لكن ردّ هذا الخطر ليس بالعزلة، بل بالانخراط الفعّال، الذي يؤدي إلى هداية الأفراد وتغيير الثقافة. وأي شيء أقل من ذلك هو انتقاصٌ غير مبرر لإنجيل الملكوت.

حسناً، بينما نختم ما لاحظناه في عظة الجبل، أعتقد أننا نواجه تحدياً يتمثل في أن الله يجعل واجبنا مزدوجاً. لا يمكننا القول إنه معقد للغاية. فنحن نرتبط به، ونرتبط بإخواننا البشر.

كما قال يسوع لاحقاً عندما سُئل عن أعظم الوصايا، محبة الله من كل كياننا ومحبة قريبنا كنفسنا. تُعلّمنا التطويبات الأربع الأولى كيف نحب الله. وتُعلّمنا التطويبات الأربع الثانية كيف نحب الناس.

الأهداف النبيلة التي نطمح إليها قابلة للتحقيق بتمكيننا من الروح القدس ودعم إخواننا المؤمنين. وببنيينا لتلك المواقف والصفات التي هي في جوهرها من خلال التوبة، نصبح نوراً وملحاً للعالم. إذا أردنا أن نكون شهادة صالحة، فإننا نميل إلى اتباع أحدث صيحات الشهادة.

ولكن في جوهر الأمر، إذا كنا من النوع الذي تصفه تلك التطويبات، فلا يسعنا إلا أن نكون نوراً وملحاً في هذا العالم الذي نعيش فيه، راغبين في نشر نور إنجيل يسوع المجيد على ثقافة وعالم أظلمته الخطيئة. ليعيننا الرب ليس فقط على فهم رسالة متى، بل على المشاركة في تعاليم يسوع، لنكون نوراً وملحاً.